



خطبة صلاة الجمعة 9 / 7 / 2021 للشيخ الطبيب محمد خير الشَّعَال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (الامتحان ونتائجه صفة عقلاء الدنيا)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (II) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 11، 12].

الوعي في اللغة يدل على فهم الشيء وحفظه وفقهه والإحاطة به. والأذن الواعية هي أذن سمعت وعقلت ما سمعت، أو هي أذن تحفظ ما سمعت، وتفكر فيه وتعمل بموجبيه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالِي فَوَعَاها؛ ثم بلغها، فَرُبَّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» [أخرجه الترمذي والطبراني واللفظ له وغيرهما].

هذه هي الخطبة الحادية والعشرون في سلسلة عناوانها (توعية)، أعرض لكم فيها صوراً وأحداثاً من علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية؛ صحيحة مرة لنعمم خيرها وننشر فضلها، وخاطئة أو مخطئة مرة لنحذر شرها ونترك فعلها؛ وفي كلتا الحالتين نفيد وعياً وفهماً.

يجب الإسلام أن يتحلى أبناؤه بالعلم، ويتزينوا بالفهم، ويتجملوا بالحكمة، ويتمسكوا بالتعقل والتدبر والوعي.

وعلى الطرف الآخر يكره الإسلام مخالطة الجاهلين، وصحبة السفهاء والمغفلين.

## عنوان خطبة اليوم: الامتحان ونتائجه صفة عقلاء الدنيا

أمس ظهرت نتائج امتحانات الشهادات الثانوية بأنواعها، وقبلها ظهرت نتائج امتحانات الصفوف الانتقالية، وبعد حين ستظهر نتائج امتحانات الشهادة الإعدادية، وبعدها نتائج الامتحانات الجامعية. ونحن في ذلك نهني الناجحين والمتفوقين، ونشد على أيدي الآخرين ليعتبروا مما مضى ويشدوا العزم فيما يأتي، وليكن ما أصابهم كبوة فارس فلا تيأسوا قرب ضارة نافعة، ونرجو لكل أبنائنا وبناتنا زيادة تفوق وتوفيق.

### أيها الإخوة:

لا يتصور عاقل أن يُمنح طالب رتبة علمية أو عملية إلا بعد امتحان واختبار، ولا أن يُرقى موظف إلا بعد اختبار، ولا أن يُجاز طبيب أو مهندس أو محام إلا بعد اختبار. وتخيّل لو أُلغيت الامتحانات من الدنيا ما الذي سيحدث؟ سيستوي المحسن والمسيء، وسينال من أمضى عامه في اللهو واللعب الدرجة نفسها التي ينالها من جدّ واجتهد، وهذا ما لا يرضاه أحد ولا يقبله عاقل؛ لأن فيه من الظلم ما فيه.

ومن أجل هذا - والله أعلم - يمتحن الله تعالى عباده: بالفقر حيناً وبالغنى حيناً آخر، بالصحة حيناً وبالمرض حيناً آخر، بالنصر حيناً وبالهزيمة حيناً آخر... ليكون الامتحان عادلاً وماراً على جميع أسئلة المنهاج المقرر.

﴿ اَلَمْۤ اَحْسِبِ النَّاسَ اَنْ يُّرْكُوْا اَنْ يَقُوْلُوْا اٰمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُوْنَ \* - لَا يَخْتَبِرُوْنَ - وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَٰذِبِيْنَ ﴾ [العنكبوت: 1-3].

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْۢ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْاَمْوَالِ وَالْاَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصّٰبِرِيْنَ ﴾ [البقرة: 155]  
﴿ اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوْا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصّٰبِرِيْنَ ﴾ [آل عمران: 142].

فسنّة الله الجارية في عباده عامّة، وفي المؤمنين خاصّة الابتلاء والاختبار، فلا يقولنّ رجلٌ لماذا يمتحننا الله هذه الامتحانات ولا يتبر من امرؤ من الامتحان، بل ليري كلّ منا ربه من نفسه خيراً وليستعن بالصبر والصلاة، وليتظر المحسن خيراً كبيراً عند ظهور نتائج الامتحان، وليتدارك المقصر قبل فوات الأوان.

وتعلمون أنه كلما صعب الامتحان علت الرتبة التي ينالها الناجح بعده، فامتحانات الجامعة أصعب من امتحانات الثانوية وهي أصعب من الإعدادية والأخيرة أصعب من الانتقالية.

إذ يقتضي علو الرتبة صعوبة الامتحان، ولذلك كانت أصعب الامتحانات للأنبياء ثم الأمثل فالأمثل؛ لأنهم بصبرهم العالي وبانضباطهم الدقيق بشرع الله صاروا أعلى الناس رتبة في الدنيا والآخرة. روى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة».

(فالتطريق درب تعب فيه آدم، ونوح لأجله نوح، وزمى في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمنٍ بخسٍ ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضَّرَّ أيوب... وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم) [كتاب الفوائد].  
فمهما صعب الامتحان والابتلاء وكنت فيه منضبطاً بأمر الله ملتزماً شرعه فأعد نفسك للرتب العالية والمنازل السنية، فبعد كل محنة منحة وبعد كل شدة شدة وبعد كل ابتلاء عطاء.  
ولئن كانت امتحانات الدنيا أشكالاً وألواناً من أسئلة مفتوحة ومغلقة، ونظرية وعملية، وأسئلة حفظ وفهم، واستنتاج واستقراء؛ فإن امتحانات الآخرة نوعان لا ثالث لهما ابتلاء بالخير والشر، وابتلاء بالأمر والنهي.

- أما امتحان الخير والشر فمعناه أن الله تعالى يختبرك بالصحة حيناً وبالمرض حيناً آخر وبالغنى حيناً وبالفقر حيناً آخر وبالسرور حيناً وبالضراء حيناً آخر ليرى ماذا تعمل في كل.

فإن كان العبد في السراء شاكراً وفي الضراء صابراً فقد نجح في الاختبار وإلا فلا، قال تعالى:  
﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35] ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42] ﴿وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 168].

- وأما امتحان الأمر والنهي فمعناه أن الله تعالى يختبرك عند أمره هل تمتثل وعند نهيهِ هل تنتهي، فمن أطاع الله ورسوله يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣) وَمَنْ يُعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿[النساء: 13، 14].

والحاصل أيها الإخوة: أن الامتحان ونتائجه صفة عقلاء الدنيا وحكماؤها، وإن الله تعالى يتتلي عباده ليميز الخبيث من الطيب وهو جل جلاله يتتليهم بالخير والشر وبالأمر والنهي. فأروا الله من أنفسكم خيرا.

وأبارك باسمكم للناجحين والناجحات وأقول لهم: العلم لا ينتهي، والشهادة ليست نهاية العلم بل هي مفتاح دخولك إليه.

قد ضل من حسب الشهادة غايةً      إن الشهادة مقبض المفتاح

فإذا نجحت في مرحلتك فلا تتوقف عن التحصيل، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، كان الإمام أحمد بن حنبل يقول: (مع المحبرة إلى المقبرة).

والحمد لله رب العالمين